

مضمون اسم الله " العدل " ومغزاه لدى الإمام بديع الزمان سعيد النورسي

أ. د. علي محيي الدين القره داغي
كلية الشريعة/جامعة قطر
والخبير بالمجامع الفقهية
وعضو المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث
دولة قطر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وحبينا وقدوتنا محمد
المبعوث رحمة للعالمين، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين،
وصحبه الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين
وبعد

فإن الكتابة عن الإمام بديع الزمان الشيخ سعيد النورسي تعني الكثير والكثير
بالنسبة لي، فقد كتبت عنه كتاباً حول : (الإمام النورسي: جهوده وجهاده في خدمة
الدعوة الإسلامية في تركيا)، ونشرت له رسالة (الإنسان والإيمان) مع تحقيقها في عام
١٩٨٠م، وكان ذلك أول ترجمة لحياته المباركة باللغة العربية في مصر ومن خلالها
إلى العالم العربي، وأول تعريف برسالته العظيمة (الإنسان والإيمان) حيث تلقفه القراء
والباحثون في مصر وغيرها، حتى إنه لم تمض فترة وجيزة حتى اتصل بي بعض طلبة
العلم في مختلف مجالات المعرفة والدعوة والعلوم الإسلامية لتسجيل أطروحاتهم
(ماجستير، ودكتوراه) في فكر الإمام النورسي، وجهوده الدعوية، وفلسفته..... الخ .
وقد حدث أن بعض الطلبة حينما يعرضون خططهم عن فكر النورسي، أو دعوته،
كان القسم العلمي يعترض في البداية على الموافقة بناءً على أن صاحب الفكر غير
معروف لديه، وقد أخبرني أكثر من واحد بهذا الموضوع ولكن حينما يعطي للقسم

الكتاب الذي ألقته عن ترجمة الإمام النورسي، ورسالته (الإنسان والإيمان)، تتم الموافقة - والحمد لله -، وفعلاً تم تسجيل رسالتين في ماجستير ودكتوراه في عام ١٩٨١، ١٩٨٢، وهكذا ...

ومن الجدير بالتنبيه عليه والتنويه به هو أن سبب تأليفي لهذا الكتاب، ونشري لرسالة (الإنسان والإيمان) للنورسي هو أنني أتيت إلى استانبول في عام ١٩٨٠ للاستفادة من مكتباتها ومخطوطاتها، فبقيت حوالي أربعين يوماً، ولكن لم تمض أيام معدودة إلا وتعرفت على إخواني تلامذة النور، فشاركت معهم في قراءة رسائل النور، وقد وثقت صلتهم بي، وازدادت ثقتهم بي حتى إنني طلبت أن نبدأ أولاً بالقرآن الكريم، ثم برسائل النور فوافقوا، ونال هذا الاقتراح رضاهم، حتى دعوا لتطبيقه على مستوى تلامذة النور، وقد سعدت كثيراً بالاخوة الكرام الأستاذ محمد فرنجي، والأستاذ محمد برنجي، وغيرهما ممن نسيت أسماءهم ولكن ذكرياتهم الطيبة معي حفرت داخل قلبي .

والحمد لله أصبح اليوم فكر الإمام النورسي معروفاً لدى الجميع، وجزى الله تعالى أخانا الحبيب الأستاذ (إحسان قاسم الصالحي) الذي وفقه الله تعالى لترجمة رسائل النور، وجزى الله تلامذة النورسي على جهودهم المباركة لخدمة هذه الرسائل .

وكم فرحت اليوم بأنه وصل عدد المؤتمرات العالمية حول بديع الزمان إلى ثمانية مؤتمرات، ناهيك عن الندوات والجلسات النقاشية التي لا تعد ولا تحصى .

وأنا أقول بكل ثقة ومن خلال معرفتي برسائل النور ومعايشتي لها بأن هذا الفكر جدير بالدراسة والتحليل ليست على مستوى عال من الإسلاميين فحسب، بل على مستوى العالم، لأنها تحمل معها أشعة القرآن، وضيائه، ونوره، فقد عاش صاحبها للقرآن، وبالقرآن ولأجل نشر نوره وضيائه، وبيان جماله، وتوضيح حقائقه، حيث عشق حقائق القرآن حتى قال : (ولو بلغ صوتي أرجاء العالم كافة أقول بكل ما أوتيت من قوة : إن "الكلمات" جميلة رائعة، وأنها حقائق، وهي ليست مني، بل هي شعاعات التمتع من حقائق القرآن الكريم، فلم أجمل أنا حقائق القرآن، بل لم أتمكن من إظهار جمالها، وإنما الحقائق الجميلة للقرآن هي التي جملت عباراتي، ورفعت من شأنها)^(١).

(١) رسائل النور : سيرة ذاتية ، نشر شركة سوزلر للنشر ، القاهرة ١٤١٩ هـ . ص (خ)

ونحن في هذه الورقة المقدمة إلى المؤتمر العالمي الثامن نتحدث عن: (مضمون اسم الله " العدل " ومغزاه في ضوء رسائل النور وإشعاعاته، وإضاءاته) داعين الله تعالى أن نوفق جميعاً فيما نصبو إليه، وأن يكتب لنا التوفيق في شؤوننا كلها، والعصمة من الخطأ والخطيئة، في عقيدتنا، والإخلاص في أقوالنا وأفعالنا، والقبول بفضله ومثته لبضاعتنا المزجاة، والعفو عن تقصيرنا، والمغفرة لزلاتنا، إنه حسبنا ومولانا، فنعم المولى ونعم الموفق والنصير .

كتبه الفقير إلى ربه

علي محيي الدين القره داغي

الدوحة / رجب الخير ١٤٢٨ هـ

التعريف بـ " العدل " :

العدل :

هذه الحروف الثلاثة (ع، د، ل) الخفيفة على اللسان، لها مدلول كبير، ومعان كثيرة، وميزانها ثقيل، وتطبيقها أثقل .

فالعدْل - بفتح العين - في اللغة هو : الإنصاف، وإعطاء لما له، وأخذ ما عليه، ويقال : رجل عدل، وامرأة عدلة، وجاء بمعنى : المثل والنظير، والجزاء، والفداء، وجمعه : أعدل .

والعدِل - بكسر العين - المثل والنظير، ونصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير، والجُوَاق، وجمعه : أعدل، وعدُول، ومنه هو توسط حالين في كمّ، أو كيف . يقول أبو البقاء: (والعدالة لغة الاستقامة، وفي الشريعة: عبارة عن الاستقامة على الطريق الحق بالاختيار عما هو محظور ديناً)^(٢).

والعدِيل: المثل والنظير، وعدِيل الرجل: زوج أخت أرماته، وجمعه: أعدل، وعدلاء، والعديلتان : الغرارتان، لأن كل واحدة منهما تعادل الأخرى^(٣) .

وقد فرق بعض اللغويين بين العَدَل - بالفتح، والعدِل - بالكسر - فقالوا : إنه بالكسر: ما يدرك بالحواس، وبالفتح: ما يدرك بالعقل والبصيرة، والموزونات والمعدودات^(٤) .

(٢) الكليات لأبي البقاء، ط. الرسالة ١٤١٣ هـ ص ١٥٠ - ٦٣٩

(٣) المفردات للأصفهاني / ط. دار المعرفة، بيروت ص ٣٢٥، وكليات أبي البقاء ص ٦٤٠

(٤) يراجع لمزيد من التفصيل في المعاني اللغوية: لسان العرب، والقاموس المحيط، والمعجم الوسيط، مادة (عدل)

والتحقيق أن القرآن الكريم استعمل " العدل " في مقابل الظلم والبغي والجور، واستعمله كذلك في مقابل الفسق والفجور، ومن هنا استعمله الفقهاء في هذين المعنيين :

أحدهما: العدل في الحكم والعلاقات، وهو بهذا المعنى يتعدى معناه إلى الغير، فيقال: عدل بين الناس، أو بين النساء، أو عدل في أمرهم أو نحو ذلك، فالعدل بهذا المعنى صفة له علاقة بذات الشخص ولكن تتجاوز آثاره إلى الغير.

ثانيهما: العدالة الذاتية، بان يكون المتصف بها مستقيماً غير فاسق وفاجر، وبهذا المعنى يستعملها الفقهاء في باب الشهادات ونحوها .

ونحن في هذه الدراسة نتحدث عن المعنى الأول الذي ركز عليه القرآن الكريم، وهو الذي يُرجع إليه لدى التحقيق في كل معانيه، وهو تحقيق التوازن بين ما للإنسان من حقوق فتعطى له، وما عليه من واجبات فتؤخذ منه .

وهذا هو معناه الاصطلاحي الذي نزلت الشرائع كلها لتحقيقه، بل عليه قامت السموات والأرض كما سيأتي شرح ذلك .

" العدل " في القرآن الكريم :

أولى القرآن الكريم عناية منقطعة النظير بالعدل، فأوجبه وجوباً مطلقاً، وأمر بتحقيقه في الأقوال والأفعال، والتصرفات، والحكم والفطرة والتقييم والشهادة والعلاقات، وتكررت كلمة " العدل " ومشتقاته ثمان وعشرين مرة^(٥) .

فالعدل جاءت به الرسالات السماوية أناطت تحقيقها بالرسول والأنبياء عليه السلام، فقال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥) ويقول تعالى على لسان رسوله محمد ﷺ: ﴿وَأَمِرتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ (الشورى: ١٥) وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (النساء: ٥٨) وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)، قال الراغب الأصفهاني: (العدل هو: المساواة في المكافأة إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، والشر بأقل منه)^(٦) أو بالإحسان كما قال تعالى:

(٥) يراجع : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبدالباقى ، مادة (عدل)

(٦) المفردات ص ٣٢٥

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤) أي ادفع السيئة بالأحسن .

وقد جعل الله تعالى العدل دليلاً على التقوى فقال تعالى : ﴿..... اغدِّلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

ومع أن العدل عام وشامل أمر الله تعالى به دون تقييد، ولكنه تعالى خصص بعض الأشياء بمزيد من التأكيد، منها :

١- العدل في الحكم بين الناس فقال تعالى : ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨) بل جعل الله تعالى الغاية من إنزال الكتب وإرسال الرسل: تحقيق العدل بين الناس، فقال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥) أي العدل، حتى إن جمهور الفقهاء - ما عدا بعض الحنفية - ذهبوا إلى اشتراط كون الإمام الأعظم (الخليفة) عدلاً، فلا تنعقد إمامة الظالم، بل ذهبوا إلى أنه يعزل بالظلم البين^(٧) .

٢- العدل بين النساء فقال تعالى : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (النساء: ٣) وقال تعالى : ﴿وَلَكِنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُضِلُّوهَا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (النساء: ١٢٩).

٣- العدل في القول والشهادة حتى ولو على النفس والأقارب فقال تعالى : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٢).

والخلاصة أن العدل هو من أهم مبادئ الإسلام، وهو الغاية في إرسال الرسل وإنزال الكتب - كما سبق - وهو المبدأ الذي لا يدخل فيه الاستثناء، ولا يخضع للضرورات، فإذا كانت الضرورات تبيح المحظورات فإن العدل يجب تطبيقه مع الأعداء والأصدقاء فقال تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اغدِّلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

الكلمات ذات العلاقة بـ " العدل " :

وهناك بعض الكلمات التي لها علاقة بالعدل تكررت في القرآن الكريم، منها

(٧) يراجع: حاشية ابن عابدين (١/٦٣٨، ٤/٢٩٩) وجواهر الاكليل (٢/٢٢١) ومغني المحتاج (٣/٥٠٣، ٤/١٣٠) وروضة الطالبين (٦/٣١٣) والاحكام السلطانية للماوردي ص ٦، ٢٢، ٦٦، ٣٥، الاحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٢٠، ٦٠

القسط، وهو العدل، والمقسط الذي هو العادل، ومنها الظلم الذي هو ضد العدل، وكذلك الجور، والبغي اللذان بمعنى الظلم، وستحدث عنها بإيجاز شديد.

أ - القسط :

في اللغة: استعمل بمعنى العدل، وبمعنى الجور، وهو من الكلمات المشتركة^(٨) التي تستعمل في معنيين متضادين، بمعنى العدل في قوله تعالى: ﴿لِيُقْوَمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥) أي العدل، وبمعنى الجور والظلم مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (الجن: ١٥) فالقاسطون هنا هم الظالمون بديل مقارنته بالمسلمين في الآية السابقة بالمسلمين: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ (الجن: ١٤).

في حين أن " أقسط " ومشتقاته في القرآن الكريم بمعنى " العدل " لأن الهزة كما يقول (علماء الصرف) للإزالة^(٩) فمعنى أقسط أي زال عنه القسط الذي بمعنى الظلم ، قال تعالى : ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩) أي حققوا العدل في الحكم بينهم وأزيلوا الظلم الذي كان موجوداً، أو سيوجد^(١٠).

وبذلك يصبح " الإقساط " مكماً " للعدل "، فالعدل هو الجانب الإيجابي في الحكم، وأما الإقساط فهو إزالة الظلم من جذوره، وكل الأسباب التي أدت إلى المشكلة، حتى لا يتكرر الظلم، ، يقول الإمام الرازي في تفسير الآية السابقة: (والإقساط: إزالة القسط وهو الجور، والقاسط هو الجائر)^(١١).

ويدل على هذا الفرق الذي ذكرته أن الآيات اللاحقة مباشرة تحدثت عن الأسباب التي تزيل المظالم بين المؤمنين فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠) حيث تضمنت هذه الآية خمسة أسباب مهمة لإزالة الظلم بين الناس، وهي:

(٨) مثل "القرء" الذي يستعمل في: الطهر، والحيض ومنه قوله تعالى (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) سورة البقرة / الآية ٢٢٨ .

(٩) وهذا مثل "طاق" بمعنى: القدرة، وأطاق أي زالت عنه القدرة ومنه قوله تعالى: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ) سورة البقرة / الآية ١٨٤، أي زالت عنه الطاقة والقدرة

(١٠) التفسير الكبير للرازي / ط. دار احياء التراث العربي (١٢٩/٢٨)

(١١) المصدر السابق نفسه

١. الأخوة الحقيقية التي تبنى على الإيمان الخالص لله تعالى، وهذا يعني أن تعطى لهذه الاخوة من حقوق متساوية واستحقاقات متماثلة، وان تُفعل هذه الأخوة حتى تصل إلى مستوى الجسد الواحد .

٢. تحقيق التصالح بين الأطراف من خلال التراضي التام إما برد الحقوق، أو بالإعفاء والإبراء .

٣. وجود أشخاص ومؤسسات الحسبة والإصلاح الدائم بين الناس حتى لا ينزغ الشيطان بين القلوب، وهذا بمثابة آلية للحفاظ على ما تمّ من التصالح .

٤. صفاء القلب واستشعاره دائماً بتقوى الله والخوف منه .

٥. التعامل على أساس الرحمة التي : إن رحمت رحمك الله تعالى فقال الرسول P: (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)^(١٢) .

ومن الجدير بالإشارة إليه أن لفظ " القسط " قد تكرر في القرآن الكريم خمس عشرة مرة، كملها بمعنى " العدل " ^(١٣) وورد بلفظ " أقسطوا " في آية واحدة (سورة الحجرات، الآية ٩) و بلفظ " تقسطوا " في آيتين (٣ النساء، و٨ الممتحنة) وفي كل هذه الآيات بمعنى " العدل " أو " إزالة الجور وأسبابه "، و بلفظ: " القاسطون " أي: الظالمون، في آيتين (١٤ و١٥ الجن) و بلفظ " أقسط " أي: أعدل في آيتين (٢٨٢ البقرة، و٥ الأحزاب)، و بلفظ " المقسطين " أي: العادلين في ثلاث آيات (٤٢ المائدة و٩ الحجرات و٨ الممتحنة)، وبذلك يكون عدد المرات التي تكرر فيها القسط ومشتقاته خمساً وعشرين مرة .

ب - الظلم الذي ضد العدل، حيث تكرر لفظ " الظلم " ومشتقاته في القرآن الكريم (٢٨٩) مرة، تحدث فيها القرآن الكريم عن خطورة الظلم وآثاره المدمرة على الأمم الماضية، والحضارات السابقة.... الخ .

ج - البغي الذي هو الظلم وضد العدل، حيث تكرر لفظ " البغي " ومشتقاته بمعنى الظلم عشر مرات^(١٤) .

د - جائر بمعنى الظلم في آية واحدة وهي قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَضُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (النحل: ٩).

(١٢) رواه الترمذي ، كتاب البرّ - مع تحفة الأحوذى - (٥١/٦)

(١٣) وهي الآيات : ١٨ - ٢١٢ آل عمران ، ١٢٧ ، ١٣٥ النساء ، ٨ ، ٤٢ المائدة ، ٥٢ الأنعام ، ٢٩ الأعراف ، ٤ ، ٤٧ ، ٥٤ يونس ، ٥٨ هود ، ٤٧ الأنبياء ، ٩ الرحمن ، ٢٥ الحديد

(١٤) وقد ورد بمعنى الطلب والرجاء كثير في القرآن الكريم ، انظر: المعجم المفهرس، لفظ "بغي" ومشتقاته

الخلاصة :

إن القرآن الكريم أولى هذه العناية القصوى بتحقيق العدل، وإزالة الظلم والبغي في أكثر من ثلاثمائة وخمسين آية، إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أهمية العدل في حياة الفرد، والأسرة والجماعة، والأمة والدولة، والحضارة والبناء والتعمير، وأن التجارب والحقائق الواقعية والقصص القرآنية تدل بوضوح على أن هلاك الأمم، وتدمير الحضارات، وانتهاء الدول والممالك كل ذلك بسبب الظلم بمعناه الشامل، والبغي والعدوان فقال تعالى : ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام:٤٧) بل يقول الله تعالى بأسلوب الحصر : ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (القصص:٥٩).

وهذه الحقائق نشاهدها اليوم في عالمنا الإسلامي حيث إن مشكلته الكبرى هي المظالم الواقعة بين الحكام والشعوب، ثم بين الشعوب بعضها البعض، ثم بين أصحاب القوى المالية والسياسية والاجتماعية، وبين المستضعفين، ولن ينجو عالمنا الإسلامي إلا من خلال العدل الذي يعيد إليه كرامته ووحدته وتماسكه .

ولهذه الأهمية فسّر النبي ﷺ الوسط بالعدل في قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة:١٤٣) حيث روى أحمد والترمذي بسندهما عن أبي سعيد الخدري، قال : قال رسول الله ﷺ : (..... الوسط العدل)^(١٥) وفي رواية أخرى عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله عز وجل : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة:١٤٣) قال : (عدلاً)^(١٦) .

العدل والعاذل من أسماء الله الحسنی ،،،،

في ضوء ما ذكره الإمام النورسي " رحمه الله "

أولى الإمام النورسي رحمه عناية بالغة بالعدل وتفسيره وآثاره، ويكونه من أسماء الله الحسنی، ونحن هنا نذكر الأدلة على أنه من أسماء الله الحسنی، ثم نذكر ما أفاض به الإمام النورسي من أنوار واشراقات، وإضاءات وإضافات، ثم نقب على ذلك بتعقيبات وخواطر وتعليقات في حدود ما تسمح به طبيعة البحث.

(١٥) مسند أحمد (٣/٣٢) ورواه الترمذي في سننه - مع تحفة الأحوذى - (٢٩٨/٨) وقال: (حديث حسن صحيح)

(١٦) مسند أحمد (٣/٩) والترمذي في سننه - مع تحفة الأحوذى - (٢٩٦/٨) وقال: (حديث صحيح)

كونه من أسماء الله الحسنى :

فقد روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (إن لله تسعة وتسعون اسماً : مائة غير واحدة ، من أحصاها دخل الجنة ، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الحَكَم ، العَدْل اللطيف ، الخبير)^(١٧) قال شراح الحديث : (العدل هو : الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم ، وهو في الأصل مصدر سمى به ، فوضع موضع العادل وهو أبلغ منه ، لأنه جعل المسمى نفسه عدلاً)^(١٨) .

هذا ما يتعلق بسر أسماء الله الحسنى ، أما أصلها فثابت في القرآن الكريم في عدة آيات منها قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٠) وقوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (الإسراء: ١١٠) وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (طه: ٨) وقوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الحشر: ٢٤) .

يقول القاضي أبو بكر في تفسير الآية الأولى : (هذه آية عظيمة من الآي التي جمعت العقائد والأعمال) ثم قال : (حقيقة الاسم : كل لفظ جعل للدلالة على المعنى إن لم يكن مشتقاً ، فإن كان مشتقاً فليس باسم ، وإنما هو صفة ، هذا قول النحاة ثم عقب على ذلك بأننا في الشريعة لا نحتاج إلى هذه التفرقة (وأن الصحابة وعلماء الإسلام حيث عددوا الأسماء ذكروا المشتق ، والمضاف ، والمطلق في مساق واحد ، إجراءً على الأصل ونبذاً للقاعدة النحوية)^(١٩) .

وقد ذكر المفسرون الخلاف في هذه الأسماء على ثلاثة أقوال :
حيث ذهب جماعة منهم إلى أنها أسماء التي فيها التعظيم والإكبار .
وذهب القول الثاني إلى أنها الأسماء التسعة والتسعون التي ورد فيها الحديث الصحيح^(٢٠) .

(١٧) الحديث رواه الترمذي في جامعه ، مع شرح تحفة الأحوذى (٤٨٢/٩ - ٤٩٠) ورواه ابن ماجه ، وابن حبان والحاكم في مستدركه والبيهقي في الدعوات

(١٨) تحفة الأحوذى (٤٨٢/٩ - ٤٩٠)

(١٩) أحكام القرآن ، بتحقيق علي الجاوي ط . دار المعرفة ببيروت (٨٠٣ - ٨٠٢/٢)

(٢٠) الحديث الصحيح هو ما في مسلم وغيره : (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) ولكن دون ذكر أسماء بعينها ، وأما الأسماء (٩٩) فهي في سنن الترمذي وغير كما سبق ذلك قبل قليل

وذهب القول الثالث إلى أنها الأسماء التي دلت عليها أدلة الوجدانية، وهي سبعة تترتب على الوجود، وهي القادر العالم المرید الحي المتكلم السميع البصير، حيث ان بقية الأسماء والصفات ترجع إلى هذه الأصول السبعة .

وقد رجح معظم العلماء المحققين القول الثاني، قال ابن العربي: (لكن الصحيح عندي: أن المراد بها التسعة والتسعون التي عددها P في الحديث الصحيح) ثم قال: (فإن قيل: هل إلى معرفتها سبيل؟ قلنا: حلق العلماء عليها، وساروا إليها، فمن جائر، وقاصد، فأما من وقف على الأمر فما عرفته إلا الاسفرايني، فأسند طريقه، ووضع تحقيقه....) ثم ذكر بأنه من خلال النظر في القرآن الكريم والسنة النبوية تصل أسماء الله تعالى إلى مائة وستة وأربعين اسماً ذكرها مع شرح موجز لكل اسم، وأضاف إليها ثلاثين اسماً آخر ذكره في كتابه (الأمد) ولكنه قال: إن أسماء الله الحسنى التي طلب الدعاء بها تسعة وتسعون اسماً كما في الحديث الصحيح، حيث إن على الداعي أن يدعو بكل هذه الأسماء والصفات رجاء أن يصيب تلك الأسماء حيث قال: (فإنها - أي أسماء الله الحسنى - مخبوءة فيهما - أي القرآن والسنة - كما خبئت ساعة الجمعة في اليوم، وليلة القدر في الشهر ... وكذلك أخفيت هذه الأسماء المتعددة في جملة الأسماء الكلية، لندعوه بجمعها، فتصيب العدد الموعود به فيها) (٢١).

ما ذكره النورسي حول اسم " العدل " لله تعالى :

فقد أولى الإمام النورسي عناية قصوى بالعدل وأهميته وآثاره، وتجلياته، نذكر منها بعضها :

١- فقد أولى في خاتمة اللمعة الثلاثين، أن العدل من أسماء الله الحسنى الأعظم عند الإمام علي رضي الله عنه وعند الإمام أبي حنيفة حيث يقول : (إن الاسم الأعظم ليس واحداً لكل أحد، بل يختلف ويتباين، فمثلاً: لدى الإمام علي رضي الله عنه هو ستة أسماء حسنى هي: فردٌ، حيٌّ، قيومٌ، حكّمٌ، عدلٌ، قدوسٌ.. ولدى أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه اسمان هما: حَكَمٌ عدلٌ.. ولدى الشيخ الكيلاني قدس سره هو اسم واحد: يا حيّ.. ولدى الإمام الرباني (احمد الفاروقي السرهندي) رضي الله عنه هو: القيومُ.. وهكذا، فلدى الكثيرين من العظماء الأفاضل أسماء أخرى هي الاسم الأعظم عندهم) (٢٢).

(٢١) أحكام القرآن (٢/ ٨٠٥- ٨١٥)

(٢٢) كليات رسائل النور، ج ٣ اللمعات - الطبعة الأولى، نشر دار سوزلر للنشر - استانبول ١٤١٣ هـ
٢٠٠٣م تحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالح/ اللمعة الثلاثون ص ٥٧١

٢- وقال في النكتة الثالثة التي تخص إحدى نكات اسم الله تعالى : (لقد تراءت لي نكتة لطيفة من لطائف هذه الآية الكريمة، ونور من أنوار تجليات اسم الله: "العدل" الذي هو اسم الله الأعظم، أو هو نور من أنواره الستة.

تراءى لي ذلك النور من بعيد - كما هو الحال في النكتة الأولى - وأنا نزيل سجن "اسكي شهر" ولأجل تقريبه إلى الأفهام نسلك أيضاً طريق ضرب الأمثال. فنقول: هذا الكون قصر بديع يضم مدينة واسعة تتداولها عوامل التخريب والتعمير، وفي تلك المدينة مملكة واسعة تغلي باستمرار من شدة مظاهر الحرب والهجرة، وبين جوانح تلك المملكة عالم عظيم يسبح كل حين في خضم الموت والحياة.. ولكن على الرغم من كل مظاهر الاضطراب، فإن موازنة عامة وميزاناً حساساً، وعملية وزنٍ دقيق تسيطر في كل جوانب القصر ونواحي المدينة وتسود في كل أرجاء المملكة وأطراف العالم، وتهيمن عليها هيمنة، بحيث تدل بدهاءة: أن ما يحدث ضمن هذه الموجودات التي لا يحصرها العدّ من تحولات، وما يلجُ فيها وما يخرج منها لا يمكن أن يكون إلا بعملية وزنٍ وكَيْلٍ، وميزانٍ من يرى أنحاء الوجود كلها في آن واحد، ومن تجري الموجودات جميعها أمامَ نظر مراقبته في كل حين... ذلكم الواحد الأحد سبحانه.

وإلا فلو كانت الأسباب الساعية إلى اختلال التوازن، سائبة أو مفوضة إلى المصادفة العشواء أو القوة العمياء أو الطبيعة المظلمة البلهاء، لكانت بويضات سمكة واحدة التي تزيد على الألوف تخل بتلك الموازنة، بل بذيرات زهرة واحدة - كالخشخاش - التي تزيد على العشرين ألف تخل بها، ناهيك عن تدفق العناصر الجارية كالسيل، والانقلابات الهائلة والتحويلات الضخمة التي تحدث في أرجاء الكون.. كل منها لو كان سائباً لكان قميناً أن يخل بتلك الموازنة الدقيقة المنصوبة بين الموجودات، ويفسد التوازن الكامل بين أجزاء الكائنات خلال سنة واحدة، بل خلال يوم واحد، ولكنت ترى العالم وقد حلّ فيه الهرجُ والمرج وتعرّض للاضطرابات والفساد.. فالبحار تمتلئ بالأنقاض والجثث، وتتعفن، والهواء يتسمم بالغازات المضرة الخانقة، ويفسد، والأرض تصبح مزبلة ومسلخة، وتغدو مستنقعاً أسناً لا تطاق فيه الحياة.

فان شئت فأنعم النظر، في الموجودات كلها، ابتداء من حجيرات الجسم إلى الكريات الحمراء والبيضاء في الدم، ومن تحولات الذرات إلى التناسب والانسجام بين أجهزة الجسم، ومن واردات البحار ومصاريقها إلى موارد المياه الجوفية وصرفياتها، ومن تولدات الحيوانات والنباتات ووفياتها إلى تخريبات الخريف

وتعميرات الربيع، ومن وظائف العناصر وحركات النجوم إلى تبدل الموت والحياة، ومن تصادم النور والظلام إلى تعارض الحرارة والبرودة.. وما شابهها من أمور، كي ترى أن الكل: يوزن ويُقدَّر بميزان خارق الحساسية، وان الجميع يُكتال بمكيال غاية في الدقة، بحيث يعجز عقل الإنسان أن يرى اسرافاً حقيقياً في مكان وعبثاً في جزء.. بل يلمس علم الإنسان ويشاهد اكتمل نظامٍ واتقنه في كل شئ فيحاول أن يُريه، ويرى اروع توازنٍ وأبدعه في كل موجود فيسعى لإبرازه.

فما العلوم التي توصل إليها الإنسان إلا ترجمة لذلك النظام البديع وتعبير عن ذلك التوازن الرائع.

فتأمل في الموازنة الرائعة بين الشمس والكواكب السيارة الاثنتي عشرة التي كل منها مختلفة عن الأخرى، ألا تدل هذه الموازنة دلالة واضحة وضوح الشمس نفسها على الله سبحانه الذي هو "العدل القدير"؟^(٢٣).

هذا هو العدل القدير، وآثار عدله وتقديره، وهكذا الأمر لو طبقنا هذه المعايير على حركات الأرض (السفينة الجارية السابحة في الفضاء) وفيما يحدث فيها من (ولادات ووفيات النباتات والحيوانات، وإعاشتهما، وحياتهما على الأرض التي يزيد عدد أنواعها على الأربعمئة ألف نوع، ترى موازنة رائعة ذات رحمة تدل دلالة قاطعة على الخالق العادل الرحيم جل جلاله، كدلالة الضياء على الشمس)^(٢٤).

ثم ختم الشيخ النكتة بقوله: (وان العدالة العامة الجارية في الكون النابعة من التجلي الأعظم لاسم "العدل" إنما تدير موازنة عموم الأشياء، وتأمّر البشرية بإقامة العدل.

وان ذكر الميزان أربع مرات في "سورة الرحمن" إشارة إلى أربعة أنواع من الموازين في أربع مراتب وبيان لأهمية الميزان البالغة ولقيمتها العظمى في الكون. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٧-٩) نعم فكما لا إسراف في شئ، فلا ظلم كذلك ظلماً حقيقياً في شئ، ولا بخس في الميزان قط، بل إن التطهير والظهر الصادر من التجلي الأعظم لاسم "القدوس" يعرض الموجودات بأبهي

(٢٣) كليات رسائل النور، ج ٣ للمعات - الطبعة الأولى، نشر دار سوزلر للنشر - استانبول ١٤١٣ هـ

٢٠٠٣م تحقيق إحسان قاسم الصالحي / اللمعة الثلاثون ص ٥٢٣-٥٢٤

(٢٤) المصدر السابق ص ٥٢٥

صورتها وأبدع زيتها، فلا ترى ثمة قذارة في موجود، ولا تجد قبحاً أصيلاً في شيء ما لم تمسه يد البشر الوسخة.

فاعلم من هذا أن "العدالة والاقتصاد والطهر" التي هي من حقائق القرآن وديانات الإسلام، ما أشدها إيغالاً في أعماق الحياة الاجتماعية، وما أشدها عرافة وأصالة. وأدرك من هذا مدى قوة ارتباط أحكام القرآن بالكون، وكيف أنها مدّت جذوراً عميقة في أغوار الكون فأحاطته بعريّ وثيقة لا انفصام لها. ثم افهم منها أن إفساد تلك الحقائق ممتنعٌ كامتناع إفساد نظام الكون والإخلال به وتشويه صورته.

ومثلاً تستلزم هذه الحقائق المحيطة بالكون، وهذه الأنوار العظيمة الثلاثة (العدالة والاقتصاد والطهر) الحشر والآخرة فهناك حقائق محيطة معها: كالرحمة والعناية والرقابة، وأمثالها مئات من الحقائق المحيطة والأنوار العظيمة تستلزم الحشر وتقتضي الحياة الآخرة، إذ هل يمكن أن تنقلب مثل هذه الحقائق المهمة على الموجودات والمحيط بالكون إلى اضدادها بعدم مجيء الحشر وبعدم إقامة الآخرة، أي أن تنقلب الرحمة إلى ضدها وهو الظلم، وتنقلب الحكمة أو الاقتصاد إلى ضدهما وهو العبث والإسراف، وينقلب الطهر إلى ضده وهو العبث والفساد. حاش لله..

ان الرحمة الإلهية، والحكمة الربانية اللتين تحافظان على حق حياة بعوضةٍ ضعيفةٍ محافظةً تتسم بالرحمة الواسعة، لا يمكن أن تضيّعا - بعدم إقامة الحشر - حقوق جميع ذوي الشعور غير المحدودين وتهضما حقوقاً غير متناهية لموجودات غير محصورة..

وان عظمة الربوبية التي تُظهر دقة متناهية وحساسية فائقة - إذا جاز التعبير - في الرحمة والشفقة والعدالة والحكمة، وكذا الألوهية الباسطة سلطاتها على الوجود كله والتي تريد إظهار كمالها وتعريف نفسها وتحبيبها بتزييناتها الكائنات بدائع صنائعها وبما أسبغت عليها من نعمٍ هل يمكن أن تسمح - هذه الربوبية العظيمة والألوهية الجليلة - بعدم إقامة الحشر الذي يسبب الحطّ من قيمة جميع كمالاتها ومن قيمة مخلوقاتنا قاطبة؟^(٢٥).

٣ - ويقول أيضاً: (ثم انظر من خلف التجلي الأعظم لأسم (الحكم) إلى التجلي الأعظم لاسم (العدل) - كما أوضحناه في النكتة الثانية - تره يدير جميع الكائنات

(٢٥) كليات رسائل النور، ج ٣ للمعات. الطبعة الأولى، نشر دار سوزلر للنشر - استانبول ١٤١٣هـ / ٢٠٠٣م تحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي / اللعة الثلاثون ص ٥٢٦ - ٥٢٧

بموجوداتها ضمن فعالية دائمة بموازينه الدقيقة ومقاييسه الحساسة ومكاييله العادلة بحيث يجعل العقول في حيرة وإعجاب، فلو فقد نجمٌ من الأجرام السماوية توازنه لثانية واحدة. أي إذا انفلت من تجلي اسم (العدل) لحلَّ الهرجُ والمرج في النجوم كلها ولأدى - لا محالة - إلى حدوث القيامة.

فانظر الآن من خلف التجلي الأعظم لاسم الله (العدل) ومن خلاله، وشاهد التجلي الأعظم لاسم الله (القدوس) - الذي وضحاه في النكتة الأولى - تر: أن هذا التجلي الأعظم لاسم (القدوس) قد جعل موجودات الكائنات نظيفة، نقية طاهرة، براقية، صافية، زكية، مزينة، جميلة وحولها إلى ما يشبه مرايا جميلة مجلوة لائقة لإظهار الجمال البديع المطلق، وتناسب عرض تجليات أسمائه الحسنی (٢٦).

٤ - ويقول في الشعاع الحادي عشر: (ثم إننا نرى أن وظائف المخلوقات تنسج على منوال الحكمة وتكال بميزان العدل. وهما من الدقة والحساسية لا يتصور الإنسان أفضل منهما.. فترى الحكمة الأزلية قد وهبت للإنسان قوة حافظة - كحبة الخردل حجماً - وكتبت فيها تفاصيل حياته وما يمسه من أحداث لا تعد، وكأنها مكتبة وثائقية مصغرة جداً، ووضعتها في زاوية من دماغه، لتذكره يوماً بيوم الحساب، يوم تنشر ما فيها من صحائف الأعمال.

وترى العدالة المطلقة تضع كل عضو من الكائن الحي في موضعه اللائق به، وتنسقه بموازين دقيقة حساسة - ابتداء من ميكروب صغير إلى كركدن ضخمة، ومن نحل ضعيف إلى نسر مهيب، ومن زهرة لطيفة إلى ربيع زاو بملايين من الأزهار.. وترها تمنح كل عضو تناسباً لا عبث فيه، وموازنة لا نقص فيها، وانتظاماً لا ترى فيه إلا الإبداع، كل ذلك ضمن جمال زاهر وحسن باهر حتى تغدو المخلوقات نماذج مجسمة للإبداع والإتقان والجمال.. فضلاً عن أنها تهب لكل ذي حياة حق الحياة؛ فتيسر له سبل الحياة، وتنصب له موازين عدالة فائقة؛ فجزاء الحسنة حسنة مثلها، وجزاء السيئة سيئة مثلها.. وفي الوقت نفسه تُشعر قوتها وسرمديتها، بما تنزل من عذاب مدمر على الطغاة والظالمين منذ عهد آدم عليه السلام. فكما لا تكون الشمس دون نهار، فتلك الحكمة الأزلية، وتلك العدالة السرمدية لن تتحققاً تحققاً كلياً إلا بحياة أخرى خالدة لذا لن ترضياً أبداً ولن تساعدنا بحال من الأحوال على نهاية لا

(٢٦) كليات رسائل النور، ج ٣ اللغات. الطبعة الأولى، نشر دار سوزلر للنشر - استانبول ١٤١٣هـ
٢٠٠٣م تحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي / اللعة الثلاثون ص ٩٢ - ٥٩٣

عدالة فيها ولا حكمة ولا إحقاق حق، تلك هي الموت الذي لا بعث بعده، والذي يتساوى فيه الظالمون العتاة مع المظلومين البائسين ! فلا بد أذن أن تكون وراءه حياة أخرى خالدة كي تستكمل الحكمة والعدالة حقيقتهما.

وبهذا يجيبنا - إجابة قاطعة - اسم الله "الحكيم" و "الحكم" و "العدل" و "العادل" من الأسماء الحسنی عن سؤالنا حول الآخرة^(٢٧).

٥ - وقد ذكر في كتابه القيم (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز): (إن المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد والنبوة والحشر والعدالة)^(٢٨) حيث أوضح أن القرآن الكريم جاء للإجابة عن المسائل التي تدور هذه الأصول الأربعة، وليبان ما يتعلق بها، ثم يقول: (فكما تتراءى هذه المقاصد الأربعة في كله - أي القرآن الكريم -، كذلك قد تتجلى في سورة سورة، بل قد يُلمح بها في كلام كلام) ثم يضيف قائلاً: (إن قلت: انني هذه المقاصد الأربعة في "بسم الله" وفي "الحمد لله"؟ قلت: لما أنزل (بسم الله) لتعليم العباد كان "قُلْ" مقدراً فيه. وهو الأم في تقدير الأقوال القرآنية. فعلى هذا يكون في "قل" إشارة إلى الرسالة.. وفي (بسم الله) رمز إلى الألوهية.. وفي تقديم الباء تلويحاً إلى التوحيد.. وفي (الرحمن) تلميحاً إلى نظام العدالة والإحسان.. وفي (الرحيم) إيماء إلى الحشر.

وكذلك في (الحمد لله) إشارة إلى الألوهية.. وفي لام الاختصاص رمزاً إلى التوحيد.. وفي (رب العالمين) إيماء إلى العدالة والنبوة أيضاً؛ لان بالرسالة تربية نوع البشر.. وفي (مالك يوم الدين) تصريح بالحشر....) حيث شرح له هذه المقاصد في هاتين الكلمتين المباركتين^(٢٩).

ومضى في هذا الكتاب القيم، حيث فسر الصراط المستقيم بالصراط الوسط، وهو العدل - أي الصراط - بين مرتبة النقصان، وهي التفريط والزيادة وهي الإفراط.

٦ - ويقول في حاجة البشرية إلى العدالة المطلقة إلى رسالة سماوية ربانية منزلة

(٢٧) كليات رسائل النور ، ج ٤ الشعاعات - الطبعة الأولى، نشر دار سوزلر - استانبول ١٤١٣ هـ

/٢٠٠٣م تحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي/ اللمعة الثلاثون ص ٢٦٤

(٢٨) كليات رسائل النور ، ج ٥ اشارات الاعجاز في مظان الايجاز - الطبعة الأولى ، نشر دار سوزلر

- استانبول ١٤١٣ هـ تحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي/٢٠٠٣م/ ص ٢٣

(٢٩) كليات رسائل النور ، ج ٥ اشارات الاعجاز في مظان الايجاز - الطبعة الأولى، نشر دار سوزلر -

استانبول ١٤١٣ هـ تحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي/٢٠٠٣م/ص ٢٥-٢٦ وما بعدها،

وتكررت هذه المقاصد الأربعة في ص ١٧٧ أيضاً

من الحكيم الخبير مالك الملك، وخالق الخلق جميعاً، وذلك لأن العقل البشري مهما حاول لا يمكن أن يتجرد عن أنانيته ومحيطه، حيث يقول في تقرير ذلك: (ثم لانهماك القوى - الشهوانية والقطبية، والعقلية - وتجاوزها - بسر عدم التحديد - تحتاج الجماعة إلى العدالة في تبادل ثمرات السعي.. ثم لأن عقل كل أحد لا يكفي في درك العدالة احتاج النوع إلى عقل كلي للعدالة يستفيد منه عقل العموم. وما ذلك العقل إلا قانون كلي، وما هو إلا الشريعة) (٣٠).

٧ - وقد أجاب أيضاً عن سؤال عقلي، وجدل فلسفي قديم وجديد مفاده: (أن معصية الكفر كانت في زمان قليل والجزاء أبدي غير متناه فكيف ينطبق هذا الجزاء على العدالة الإلهية؟ وإن سلّم، فكيف يوافق الحكمة الأزلية؟ وإن سلّم، فكيف تساعده المرحمة الربانية؟

قيل لك: مع تسليم عدم تناهي الجزاء، إن الكفر في زمان متناهٍ جنائياً غير متناهية بست جهات: منها: ان من مات على الكفر لو بقي أبداً لكان كافراً أبداً لفساد جوهر روجه، فهذا القلب الفاسد استعد لجناية غير متناهية.

ومنها: أن الكفر وان كان في زمان متناه لكنه جنائياً على غير المتناهي، وتكذيب لغير المتناهي أعني عموم الكائنات التي تشهد على الوجدانية.
ومنها: أن الكفر كفرانٌ لنعم غير متناهية.

ومنها: أن الكفر جنائياً في مقابلة الغير المتناهي وهو الذات والصفات الإلهية.
ومنها: أن وجدان البشر - بسر حديث (لَا يَسْعَى أَرْضِي وَلَا سَمَائِي) (٣١) - وان كان في الظاهر والملك محصوراً ومتناهياً لكن ملكوته بالحقيقة نشرت ومدت عروقه إلى الأبد. فهو من هذه الجهة كغير المتناهي وبالکفر تلوث وضمحل.

(٣٠) كليات رسائل النور، ج ٥ اشارات الاعجاز في مظان الايجاز. الطبعة الأولى، نشر دار سوزلر.

استانبول ١٤١٣هـ تحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي/ ٢٠٠٣م / ص ١٤٧
(٣١) الحديث تم تخريجه من قبل محقق الكتاب: (ما وسعني سمائي ولا ارضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن). ذكره في الاحياء بلفظ مقارب. قال العراقي في تخريجه: لم ار له أصلاً (كشف الخفاء للعجلوني ١٩٥/٢ باختصار). وقال السيوطي في الدرر المنتشرة: قلت اخرج الامام احمد في الزهد عن وهب بن منبه: ان الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر الى العرش فقال حزقيل: سبحانك ما اعظمك يارب! فقال الله: ان السموات والارض ضعفن ان يسعني ووسعني قلب المؤمن الوداع اللين» اه . قال ابن حجر الهيثمي في الفتاوى الحديثية: وذكر جماعة له من الصوفية لا يريدون حقيقة ظاهره من الاتحاد والحلول لأن كلاً منهما كفر، وصالحو الصوفية

ومنها: أن الضد وان كان معانداً لضده لكنه مماثل له في أكثر الأحكام. فكما ان الإيمان يثمر اللذائد الأبدية، كذلك من شأن الكفر أن يتولد منه الآلام الأبدية. فمن مزج هذه الجهات الست يستنتج أن الجزاء الغير المتناهي إنما هو في مقابلة الجناية الغير المتناهية وما هو إلا عين العدالة.

إن قلت: طابق العدالة- أي أن الجزاء الأبدي للكافر طابق للعدالة - لكن اين الحكمة الغنية عن وجود الشرور المنتجة للعذاب؟

قيل لك: كما قد سمعت مرة أخرى انه لا يُترك الخير الكثير لتخلل الشر القليل لأنه شر كثير. اذ لما اقتضت الحكمة الإلهية تظاهر ثبوت الحقائق النسبية التي هي أزيد بدرجات من الحقائق الحقيقية - ولا يمكن هذا التظاهر إلا بوجود الشر؛ ولا يمكن توقيف الشر على حدّه ومنع طغيانه إلا بالترهيب؛ ولا يمكن تأثير الترهيب حقيقة في الوجدان إلا بتصديق الترهيب وتحقيقه بوجود عذاب خارجي؛ إذ الوجدان لا يتأثر حق التأثر - كالعقل والوهم - بالترهيب إلا بعد أن يتحدس بالحقيقة الخارجية الأبدية بتفاريق الامارات - فمن عين الحكمة بعد التخويف من النار في الدنيا وجود النار في الآخرة.

إن قلت: قد وافق الحكمة فما جهة المرحمة فيه؟

قلت: لا يتصور في حقهم إلاّ العدم أو الوجود في العذاب، والوجود - ولو في جهنم - مرحمةٌ وخيرٌ بالنسبة إلى العدم إن تأملت في وجدانك؛ إذ العدم شر محض، حتى إن العدم مرجع كل المصائب والمعاصي إن تفكرت في تحليلها. واما الوجود فخير محض فليكن في جهنم.. وكذا إن من شأن فطرة الروح - إذا علم أن العذاب جزاء مزيل لجنائته وعصيانه - أن يرضى به لتخفيف حمل خجالة الجناية ويقول: هو حق، وأنا مستحق. بل حياً للعدالة قد يلتذ معنى! وكم من صاحب ناموس في الدنيا يشتاق إلى إجراء الحد على نفسه ليزول عنه حجاب خجالة الجناية. وكذا إن الدخول وان كان إلى خلود دائم وجهنم بيتهم أبداً، لكن بعد مرور جزاء العمل دون الاستحقاق يحصل لهم نوع ألفة وتطّبع مع تخفيفات كثيرة مكافأة لأعمالهم الخيرية. أشارت إليها الأحاديث. فهذا مرحمة لهم مع عدم لياقتهم^(٣٢).

اعرف الناس بالله وما يجب له وما يستحيل عليه، وانما يريدون بذلك ان قلب المؤمن يسع الايمان بالله ومحبه ومعرفته. ا هـ .

(٣٢) كليات رسائل النور، ج ٥ اشارات الاعجاز في مظان الايجاز. الطبعة الأولى، نشر دار سوزلر.

استنبول ١٤١٣هـ تحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحى / ٢٠٠٣م / ص ٨٦- ٨٧

الدلالات والمضامين المأخوذة من النقول السابقة :

من خلال هذا السرد الموجز لما ذكره الإمام النورسي حول العدل وآثاره، وإشعاعاته يتبين لنا ما يأتي :

أولاً - إننا نرى في هذه الكلمات النيرات عمق التفكير لدى الإمام النورسي، والفهم الدقيق الذي تجسد في أفكار جديدة، ومعان بديعة تناغمت من خلال لآئى رائعة، كعقد الدرر، ولآئى العقد ازدانت جمالاً من خلال الربط العميق بين العدل والقدير، وبين العدل والخلق والرحمة، وبين الاقتصاد (التوسط) والطهر والعدالة، وازداد جمالاً أكثر يربط كل ذلك بالميزان الذي وسّع دائرة معانيه لتشمل المعقولات والمحسوسات، ثم لا يكتفي بهذا الربط الجميل وإنما يربط العدل بالحشر والقيامة . إنها فعلاً إشعاعات قرآنية، وتوفيقات ربانية .

ثانياً - إن ما ذكره الإمام النورسي في مقدمة كتابه (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) من مقاصد القرآن الأربعة (التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة) يعتبر إحياءً لفكرة المقاصد في عصره التي ذكرها بإيجاز إمام الحرمين، ثم أوضحها الإمام الغزالي، والعزّ بن عبدالسلام، ثم جاء الشاطبي فأصلها من خلال كتابه المهم (الموافقات) غير أن الإمام النورسي سار في المقاصد منحى آخر، وهو أن الأئمة السابقين ذكروا مقاصد الشريعة وحصروها في المقاصد الثلاثة : الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات، في حين أن الإمام النورسي يذكر مقاصد القرآن الكريم ويحصرها في أصول أربعة وهي : التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة، وهي أصول جامعة أيضاً، تشمل كل ما جاء في الشريعة الغراء، وذلك لما يأتي :

أ - إن هذين الأصلين اللذين ذكرهما (التوحيد والنبوة) يتضمنان كل ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية، والشريعة المنزلة على الأنبياء، وما أمرت به من العبادة لله تعالى وتنظيم العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبينه وبين الكون كله، فالتوحيد في نظر الشيخ نوعان:

أحدهما: الإيمان بوحداية الله تعالى في الألوهية والربوبية، في الخلق والحكم والأمر والتقدير، وهو التوحيد الظاهري، وهو أن الله واحد لا شريك له، ولا مثيل، وأن هذا الكون كله ملك له .

ثانيهما : قراءة الموجودات والمخلوقات قراءة دقيقة حتى تصل إلى ختم التوحيد، والطغراء الموجودة على كل ذرة من ذرات هذا الكون.

وهذا هو التوحيد الحقيقي حيث يشرحه بقول : (وهو الإيمان بيقين أقرب إلى الشهود بوحدانيته، وبصدور كل شيء من يد قدرته، وبأنه لا شريك له في ألوهيته، ولا معين له في ربوبيته، ولا يذله في ملكه إيماناً يهب لصاحبه الاطمئنان الدائم وسكينة القلب، لرؤيته آية قدرته، ختم ربوبيته ونقش قلمه على كل شيء، فيفتح شبك نافذ من كل شيء إلى نوره سبحانه) (٣٣).

ثم شرح دقائق هذا الإيمان من خلال النظر في الكون وقراءته قراءة عميقة يكشف عنها غطاء الأسباب، وترفع عنها ستائر الأقدار وحجبه للخوض مباشرة في عالم قدرة الله تعالى وتوحيده وجلاله وجماله وحكمته وإبداعه، فذكر بعض الأمثلة الجميلة، مثل التأمل في بستان هذه الكائنات بإمعان، والنظر في السماء المتلألئة بالنجوم والكواكب والشموس، والأرض المخضرة الجميلة بما فيها من أسرار ومخلوقات ملونة زاهية، وسيارات سابحة في الفضاء ثم أرجع البصر كرتين، والفكر مرات لوصلت بل رأيت على كل كائن أختاماً كثيرة وضعها الحي القيوم الفرد الصمد الحكيم العدل، تدل على القدرة والوحدانية، والحكمة والعدل، حيث قال : (إن كل ذرة تشهد بلسان عجزها على وجود القدير المطلق، وتشهد بإظهارها الانسجام التام مع نظام الكون العام الدال على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى، نعم ففي كل حي هناك آيتان : إحداهما آية الأودية، والأخرى آية الصمدية) (٣٤).

ب - إن مقصد " الحشر " الإيمان باليوم الآخر يفهم منه مقصد التزكية، أي تزكية النفس من خلال الخوف من العقاب والجزاء والنار، والرغبة في الثواب والجنة، فمن كان يؤمن باليوم الآخر (من النشْر والحشر والحساب والصراف والجنة والنار...) يسعى لأن تكون له حياة كريمة في الآخرة، وذلك عن طريق إرضاء مالك الدين، وأن إرضاء لن يتحقق إلا من خلال الالتزام بجميع أوامره ونواهيه، وبالأخلاق والقيم والتزكية.

فالإيمان بالحشر واليوم الآخر يجعل الإنسان دائماً على خوف واستشعار ومراقبة وبالتالي يجعله صالحاً عابداً لله تعالى، ممتنعاً عن جميع النواهي، والفواحش والفساد، كما حدث لسيدنا يوسف عليه اللام حينما تزينت المرأة صاحبة الجاه والجمال

(٣٣) كليات رسائل النور، ج ١ الكلمات - الطبعة الأولى، نشر دار سوزلر للنشر - استانبول ١٤١٣ هـ

/٢٠٠٣م تحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالح/ ص ٣٢٥ - ٣٢٦

(٣٤) المصدر السابق، ويراجع أيضاً : كليات رسائل النور ج ٣ اللمعات ص ٥٣٩ وما بعدها ففيها كنز

﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ فكان جوابه : ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف:٢٣).

ج - إن مقصد " العدل " يحقق مقصد الاستخلاف والاستعمار - أي طلب تعمیر الأرض - الذي جعله الله رسالة هذا الإنسان، تلكم الرسالة التي كلفها الله تعالى بأدائها، وذلك لأن العدل يشمل كل جوانب الحياة، وهذا هو الأساس في التعمير والبناء، وهذا ما شرحه في الحقيقة الثالثة حيث ربط بين العدل والحكمة، وان قاعدة الثواب للمحسن، والعقاب للمسيء تمثل قمة العدل، كما ربط بين العدل، والميزان الذي يقتضي إعطاء كل ذي حق حقه، كما أنه ذكر: (فمن مقتضى العدل والحكمة أن تُرسل أيضا الذرات الأرضية التي رافقت تلك الثمرات والمعاني وخدمتها مع أنقراض هذه الدنيا التي ستدمر إلى العالم الأخروي وتستعمل في بنائه. وذلك بعد تكاملها تكاملاً يخصصها من حيث الوظيفة، أي بعد أن نالت نور الحياة كثيراً وخدمتها، وأصبحت وسيلة لتسييحات حياتية من هذه الحقيقة ينكشف طرف من قانون عظيم هو: (قانون العدل).

فإذا شئت - في ضوء هذا المثال - أن ترى تجلي اسم الله " الحق " و"الرحمن" و"الرحيم" ضمن نطاق العدل ولا حكمة، فسرح نظرك في الربيع إلى تلك الخيام المنصوبة على بساط الأرض لأربعمائة ألف من الأمم المتنوعة الذين يمثلون جيش النباتات والحيوانات، أنعم النظر فيها تجد أن جميع تلك الأمم والطوائف مع أنها متداخلة، وألسنتهم مختلفة، وأرزاقهم متفاوتة، وأسلحتهم متنوعة، وطرق معيشتهم متباينة، وتدريباتهم وتعليماتهم متغايرة.... مع كل هذا فإن كلاً منه تدار، وتربى وتراعى باسم "الحق" و"الرحمن" و"الرزاق" و"الرحيم" و"الكريم" دون التباس، ولا نسيان ضمن نطاق "الحكمة" و"العدل" بميزان دقيق وانتظام فائق، فشاهد هذا التجلي وتأمل فيه : فهل يمكن أن يتدخل أحد غير الله سبحانه وتعالى في هذا العمل الذي يدار بمثل هذا النظام البديع والميزان الدقيق؟^(٣٥).

ثالثاً - تنزيل العدل على المجتمع، من خلال التركيز على العدالة في التوزيع، والعدالة الاجتماعية، فقال في الصورة الثالثة للحقيقة الثالثة : (انظر كيف تنجز الأعمال هنا بحكمة فائقة، وتأمل كيف ينظر إلى المعاملات بمنظار عدالة حققة، وميزان صائب، ومن المعلوم أن حكمة الحكومة وفطنتها هي اللطف بالذين يحتمون بحماها

وتكريمهم، والعدالة المحضة تتطلب رعاية حقوق الرعية لتصان هيبة الحكومة، وعظمة الدولة.....^(٣٦).

العدالة الاجتماعية في رسائل النورسي :

إن الإمام النورسي رحمه الله لم يخصص العدالة الاجتماعية بالبحث والتحليل، وإنما أولى عنايته بالعدل وآثاره . كما رأينا . ولكن هذا لا يعني أن هذا الموضوع كان خارج اهتمامات الإمام، بل كان له عناية به من خلال العدل، ولا سيما أنه كان مشغولاً بإرساء الكليات الإيمانية، ومتصدياً للحفاظ على العقيدة الصحيحة التي إن تحقق الحفاظ عليها فيمكن تحقيق جميع الآثار والمسائل الفرعية الأخرى، ولذلك حينما سئل: هل أنت تعني الحفاظ على الصوفية؟ أجاب قائلاً: بان همي الوحيد الآن هو الحفاظ على الإيمان أولاً، ثم الحفاظ على الباقي .

ومع ذلك فإننا نجد منهجية واضحة للنورسي، وإشارات طيبة، وكلمات نورانية متناثرة لو جمعت لتكونت منها فكرة طيبة عن العدالة الاجتماعية على ضوء ما يأتي:

١- إن منهج الإمام النورسي هو ربط أسماء الله الحسنى بمعانيها وآثارها في الخلق والكون، وأن الحكمة من ذكرها هو الاستفادة منها، فالمؤمن حينما يؤمن بأن الله رحمان رحيم، فهذا يعني أمرين أساسيين :

الأمر الأول: الإيمان بهذه الرحمة الواسعة لله تعالى.

الأمر الثاني: هو تحقيق هذه الرحمة في قلب المؤمن، وتجسيدها في معاملاته وتصرفاته كلها، فيكون رحيماً.

ومن هنا يمكن التوسع في دائرة تأثير العدل على المؤمن في تصرفاته مع الآخرين في كل ما تقتضيه العدالة المطلقة الشاملة للعدالة الاجتماعية، وغيرها .

٢ - وقد أوردنا في السابق أن النورسي نص على أن: (حكمة الحكومة وفطنتها هي اللطف بالذين يحتمون بحماها وتكريمهم، والعدالة المحضة تتطلب رعاية حقوق الرعية).

٣ - إن مما يستنبط مما ذكره النورسي في كليات رسائله، هو أن الإسلام يقوم على التوازن في كل شيء، والتعاون بين ذرات الوجود على أساس العدل والحكمة، والرحمة، والتوحيد، فعلى ضوء ذلك فلا يمكن أن يقوم المجتمع الإسلامي الذي

يشده على أساس الصراع الطبقي بين العمال والرأسماليين كما فعلت الماركسية، أو على أساس المنفعة واللذة واحتدام المنافسة كما هو الحال في الرأسمالية^(٣٧). وقد أكد على هذا المعنى بقوله: (فدستور الحياة هو التعاون دون الجدل ... نعم تجاوب أعضاء الكائنات بشمسها وقمرها لمنفعة الحيوانات ...، دليل قاطع ساطع على أن الدستور العام هو التعاون)^(٣٨).

٤ - مما ذكره النورسي في رسائله هو العدالة في الميراث حيث إن الرجل إذا أخذ حظاً زائداً فلأنه سينفق قسطاً على زوجته، وبذلك تحصل المساواة، ويكون الرجل مساوياً لأخته، وهكذا تقتضي العدالة القرآنية^(٣٩).

٥ - ومما ذكره الإمام النورسي في إعادة التوزيع (حسب مصطلح الاقتصاديين) هو تفسيره الرائع للآيات التي تتحدث عن الزكاة وأهميتها، وعن خطورة الربا ومفاسده.

٦ - محاربة الاستغلال، حيث إنها ظاهرة في رسائل النور حيث حاربت الاستغلال بثتى صورته وطرقه، كما أنها حذرت من صراع الطبقات فقالت: (وتباعدت طبقات الخواص عن العوام بدرجة لا صلة بينها، ولا يفوز من الطبقة السفلى إلى العليا إلا صدى الاختلال وصياح الجسد، وأنين الحقد والنفرة)^(٤٠).

الخلاصة :

أن الإمام النورسي " رحمه الله " أشغلته هموم الأمة، وعنايته القصوى بالكليات الإيمانية عن الخوض في بعض التفاصيل الخاصة بالعدالة الاجتماعية و عدالة التوزيع، ومع ذلك فقد وجدنا في ثنايا رسائله المباركة، وفي طي كلماته النيرات ما يمكن أن يشكل قاعدة جيدة لمبدأ العدالة الاجتماعية.

هذا والله الموفق ، وهو الهادي إلى سواء السبيل
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(٣٧) الدكتور أسامة عبدالمجيد العاني: ورقته حول مفهوم العدالة الاجتماعية في رسائل النور، ودوره في مواجهة العولمة ، المنشور ضمن منشورات المؤتمر العالمي السادس لبديع الزمان النورسي.

(٣٨) المثنوي العربي ص ٣٤٣ - ٣٤٤

(٣٩) كليات رسائل النور، ج ١ الكلمات - الطبعة الأولى ، نشر دار سوزلر للنشر- استانبول ١٤١٣هـ / ٢٠٠٣م تحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي / ص ٤٧٥

(٤٠) كليات رسائل النور ، ج ٥ اشارات الاعجاز في مظان الايجاز - الطبعة الأولى، نشر دار سوزلر - استانبول ١٤١٣هـ تحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي/٢٠٠٣م/ ص ٦٧ وما بعدها